

نصوص

- هاشم شفيق
- خالد معالي
- سامر أبو هوش
- محمد حلمي الريشة

مرثية المستقبل

هاشم شفيق*

ستأسنُ هذي الليالي
ويشيبُ الساهرون.
ستخمدُ النارُ في الأعماق
ويطفأُ الجمر الذي كان يتوهجُ
تحت السُّرر وبين القلوبِ،
ستغيبُ المواقدُ التي كانت تُجمّر الغيومَ
وتختفي الحكاياتُ في شقوقِ الأبوابِ
وتحت ترابِ العتباتِ،
سيظهرُ عطرٌ آخرُ
ومكرٌ جديدٌ ودهانٌ لم نألفُ لونه
وشجراتٌ لا تخضرُ إلا بشقِّ الأنفُسِ،
سيظهرُ نهرٌ تصلي الناسُ له
وتعبدُ منبعه.

الضالّة ستكون القوّة
 والضحالة هي التي ستغدو
 في الغدير الآلهة.
 ستكون هناك نجاساتٌ تقدّسُ
 وحروبٌ عن الهواء والمياه
 والفضاءات الشاغرة.
 سيعيشُ الناسُ برثةً واحدةً
 وربع عينٍ وكلية مصنّعة.
 سيكون هناك يأسٌ
 هو سيدُ الأرضِ
 وشمسٌ مبتسرة.
 سيعيشُ الناسُ تحت الصخورِ،
 يقلون وعيهم بقدورٍ كبيرة،
 ويشوون ذواتهم تحت شعاع لا يرى.
 ستكون هناك مبرراتٌ
 وذرائعٌ لظهور الأقرام بين الزهور.
 سيكون هناك ليلٌ
 أشدُّ دماسةً من الدجى،
 فيه سيقتلُ العملاقُ بقملة
 ويتبرّرُ الانحطاطُ في خلايانا البشرية،
 فيه ستنفطرُ شفاهنا الصلصالية من العطش.
 سيصيبنا الوهمُ والارتعاشُ
 والتكالبُ على الفضلات،
 ثم ناوي مرفوعي الرؤوس إلى الجحور.
 سنبیح المساماتِ
 ونزايذُ في مزاد الأعضاء البشرية على الأخ.

سنبوسُ الطفلة الآلية
ونقولُ نحنُ سعداءُ
بفضلِ الرؤيا
والمسابرِ التي سَبِرَتْ
الأحشاءَ والأدمغة.
ستكونُ هناكُ دموعُ صناعيَّة،
لأنَّ الودَّ سيكونُ
قد استؤصلَ كداء
والرأفة ستكونُ قد قُبِرَتْ إلى الأبد.
سنتنفسُ الأسافلَ
ونعيشُ هانئينَ بينَ السفلة.
سنشربُ النارَ
ولكن بقناعتنا،
سنعلكُ الرملَ
ولسنا مجبرين.
سنسميَ الحصاةَ تفاحةً بإرادتنا،
ونسَميَ الصخرةَ على كاهلنا غيمةً شفافة.
بالغريزة سننعتُ الأصدقاءَ بالأعداءِ،
والعدوَّ سيلقى التَّجِيلَ،
لأننا سَمِيناهُ شغافَ قلوبنا.
بفارغِ الصبرِ سننتظرُ الغزاةَ،
سنقفُ على السطوحِ
علَّنا نلمحُ راياتهم.
سنسميَ التتارَ إخوتنا
سنجلسُ على مائدةٍ واحدةٍ
لنأكلَ معهم الكُتَبَ والحديدَ.

سنضع مثلهم القرونَ على جباهنا،
ونحنى ممتين لقامة الخريت.
سنسهرُ معهم حتى تتشققَ جفوننا
وتيبسَ الأحداقُ.
سنمجذُ السرابَ دون كلِّ،
سنمتدحُ الشفقةَ
ونهجو السؤددُ.
سنستضيفُ الشرَّ إلى الأفئدة،
ونعطيه منزلةً كبرى.
سنبجلُ الظلامَ دون هواده،
ونطري صناعه وخالقيه.
سنسولُ الماءَ دون شكِّ
وكذلك الضياء.
فرحٌ سيكون هناكَ
ولكنه مملب.
حزننا سيصيرُ تحفيات،
سنصطفُ في شرفات من الكريستال،
لنعرضَ بشرتنا للبيع.
سننامُ مع الصواعقِ،
والعراءُ سيكون غطاءنا الفريد.
سيغدو الهجينُ شعارنا،
والنوافلُ سراطنا والسبيل.
سيكون القلقُ وجبتنا الدسمة.
سنغني طويلاً للقطِّ والإذلالِ،
ونلحنُ للموتى الأحياءَ أناشيدهم الأزلية.
ستكون هناكَ أرحامٌ ميكانيكية.

أبونا سيكون مصلاً
وأُننا أنبواباً معدنياً.
مَنِينًا سيباغ في الصيدليات كقطع نادرة،
الحليب سناخذه بقطارة من مزرعة الأحجار،
والصديق سيكون شرابنا الأوحد.
سنتقاتل على النسمة،
أما الفراشات والطيور
فستكون رموزاً قديمة،
سيحلُّ الجديدُ
وتطيرُ الرغبة في الأفاقِ،
سيحلُّ الرهيبُ
وتنقرضُ الرقةُ
واليعاسيبُ
والكائناتُ الرهيفةُ،
ستصيرُ البشاعةُ سيّدة الكونِ،
ووصيفاتها الدمامة والكراهيةُ،
ستكونُ البغضاءُ هي الحاكمَ المطلقِ،
والخسةُ ملكةً على العالمِ.
سيكونُ هناكَ رماً موضوعُ
في أطباقٍ محلاة بالسكرِ،
ستزيّنُ نعومتَهُ حياتنا،
وملاستُهُ ستصبحُ عارضةً أزياء
تتجولُ في خيالنا.
ستكونُ هناكَ شجرةُ،
ظلّها الحريّفُ
سيجعلُ الطيورَ تموغُ

والزفيرَ يحترقُ
 بين أفنانها الوسيعة.
 سيكونُ هناك عماليقُ
 يصطرون على النومِ
 ويقتتلون من أجل هنيهة تأمل.
 سيكون هناك مطرٌ كبيرتيٌّ،
 وسحاباتُ فلزاتٍ
 والهطولُ سنتحسسهُ بأجفاننا المقلوبة،
 ثم نعجبُ حين يتركُ
 في مهجنا زهوره السوداء.
 لذلك ستشيعُ بيننا
 طبائخُ الإسمنت،
 وسوف يضحى
 هو جوهرنا
 بجلافتهِ سوف يقهرنا،
 لأنه سيكون المتنقذُ في المعى
 والسُّلطانَ على الروح.
 آنئذ
 سندفنُ البركاتِ
 ونكفُّ الفضيلةَ
 وأقرباءها التابعين
 سنبكي على الإحسانِ
 لأنه سيصير أيقونةً معلّقةً
 في مساكنَ زجاجيةٍ،
 ستكون السعادةُ بالقطراتِ،
 نقطرها لمن يدفع نقوداً غير مرئية،

لمن يستعيضُ عنها
 بكميةٍ من مشاعره الذابِلة،
 سنعيثُ بهجةً لا مثيلَ لها،
 على أننا حدّثنا الرِّيحَ
 وعصرنا النيازكَ
 ومدنا القمر،
 سنلهتُ طول الوقت،
 وسيكونُ اللهاثُ شرطنا،
 فوق أرضٍ تنفتتُ من شدةِ التجارب،
 سنهزمُ الطبيعةَ بالتأكيد،
 وتزحفُ الغابةُ
 على ركبها الخضراء
 وهي تذرفُ أشجاراً
 وأجنحةً ومناقير،
 سيكونُ النسْرُ
 لا يحلّقُ إلا بين أيدينا،
 وبإمكانِ نَفحةٍ أنْ تطيحَ بقوِّتهِ.
 عهدئذ
 سيقلُّ الإنسانُ
 سيصيرُ نصفاً
 ربما ربعاً،
 أو مجردَ عينٍ
 تنظرُ إلى الأسي
 كيف ينتشرُ
 ولا تحركَ رمشاً،
 أو مجردَ أنفٍ

يشمّ اللوعة
لا يندسُّ فيها.
لن يكونَ هناك قلبٌ،
والدمُّ سيتحوّلُ
إلى سوائلٍ أخرى،
سيقلّ الإنسانُ،
شيئاً فشيئاً،
سيصبحُ أساطير.

(2000/3/16)

* شاعر عراقي يقيم في لندن.

أربع قصائد

خالد معالي*

العودة إلى العالم

إلى العالم الكبير تعودون
 ينامى بطاسٍ وذكرى من الليل
 تلوح هنا، حوالينا

لقد جئنا، نصيحُ على الدنيا
 من بعيدٍ ونبكي
 نادينا على كلبنا الذي مات
 على القط الذي ماءً
 وسالت على دربنا الأوهامُ

ونحن نخطو ونخطو وننسى
 أن الليل الذي كانَ
 لم يعد يأتي
 ضاعت الدنيا لدينا
 ذهبت أقمارها، نجومها المضيئات
 ولم يبقَ لدينا إلا شراع الأسي
 النأي الطويل والحسرة التي تدور.

كنتم تلوحون كأشباحٍ من الماضي
 تبدون في الأطياف حزاني
 غير أن الرؤيا التي كانت تفارقكم
 غير أن الحنين، الذكريات، الوهم
 الذي كان يحدوكم بالوصول
 ثم الرجوع إلى البيت، قد تلاشت
 وضاعت تلك الإشارات التي تلوح
 كنجمٍ في الظهيرة.

ماذا كنتم ترون؟ لاحت الأشجارُ
 في أحلامكم نخلاً عالياً
 والطيورُ قطعاً ميتاً على أطراف الفيافي

والذكرى بلاداً تبدو ككابوس
في حُضن شيطانٍ على الأسوار.

(2000/5/27)

الوصول إلى المعنى

أنتَ لا تريدُ أن تُسمع
يراك طارقُ الباب، كان يأتي
يتركُ لك الرسالة، الأسى
والذكريات تسيلُ من هنا
على السلم، تنداحُ قطرةً قطرةً
وتستريح.

أنتَ لا تريدُ أن تُرى
تلبسُ القناعَ وتزحف كراهبٍ
في خيمتك المتقبة
ترفعُ صوتك بالكلام وتهمس
لنفسك بحرفٍ لكي تقدّم
يدك مشدودة وروحك تطفحُ
أنتَ لا تريدُ أن تعرفَ الغيوم

وهي تسيرُ على طريقك القديم
حيث تُومض النجوم فوق رأسك
وتسعى نحوك الطيور.

هنا، لا تريد أن تعرف غير
الذكريات وحدها، ومن علّة
لعلّة تراك تهربُ حاملاً تُوهم
اليقين بلعبة الخلود
لكي ترى نفسك بعدها
أعزلاً، تدور حولك الرمالُ والرياح.

(2000/5/31)

ماذا تريدُ من الأحصنة؟

هنا، عليك أن ترقبَ القبرة
وأن تطير في إثرها
فكلُّ حيِّ سيراك
يدك ملوَّحة وعينك مغمضة.

من رأيتَ في الطريق

لاحت لك أرواحنا
 عيوننا البيضاء وهي تُبصرُ
 قيدينا المحطّم وجناحنا المقطّع؟

ماذا كنت تريد من الأحصنة
 التي تنهب الطريق الطويل
 التي أُسرّجت من زمانٍ
 وأمضت حياتها في الطراد
 فيما أنت واقف
 عكازك الذي نال الدود منه حقّه

قد تتلّم
 وارتخت يداك
 شابَ شعرك
 وأضحيت أدرداً
 تجرّ أذيالك هبّاتُ الهواء
 وأنت، أنت الذي على الأحجار يدرجُ
 ماذا تريدُ من الأحصنة؟

«القافلة تسير..»

لتأتي إليك الحياة
عابرة محيطها
خلفها تلوح أسرابُ الجراد
لقد جاءت إليك
وأنت هنا،
على شفا حفرة هذا اليقين
المعقر بالتراب.

لقد عرفت هذا،
أضحوكة الدهر
تُراك دائماً تسيرُ
للتبعك
سارَ الوحي اليتيم نحوكَ
ذكرياتك انتهت
ولحتَ تنفضُ عن يديكَ
غبارَ الحياة
لقد سنمت حقاً
«فمن يعيش سبعين حولاً..»
غير أنك لم تصلُ

إنما نجوت فقط
ثوبك الممزق
وشعرك الملطخ بالدماء
تخطو على اللاطريق
أهوجَ كقافلةٍ من جملٍ وحيد.

(2000/6/4)

* شاعر عراقي يقيم في السويد.

إنهم يقيمون في الطقس

سامر أبو هوش*

أصدقاء

أعرف صديقاً يرتجفُ في «السرفيس»
من مشهده في «السرفيس»، يقول، لأنه أضعف
من أن يرى أحداً

الصديق نفسه يرتجف أمام المرآة
أمام كل ما يعكس صورة، يقول، لأنه أقل
من أن يراه أحد

أعرف صديقاً ميتاً
كان يحب «جون لينون» والسينما
صديق آخر يقول قتلته التسعينيات

الصديق نفسه قرأ مكتبة كاملة
في الملجأ

وهناك أحب فيروز و«أناديكم»

أعرف صديقاً آخر ميتاً

لم يقرأ مكتبة لكنه خاض حرب الأسواق

صديق آخر يقول إنه مات أصلاً في الأسواق

غير أنه لسبب غامض ظلّ يتنفس عشرين عاماً

الصديق نفسه شعر ببرد في معدته ذات مساء

تقول زوجته

ثم بصق الدم كلّه دفعة واحدة

صديق آخر قال هذه لعنة التسعينيات

أعرف صديقاً في الأربعين

لا يفعل إلا أن يقود سيارته ليلاً

ذهاباً وإياباً

بين «الشرقية» و«الغربية»

وحين لا يفعل ذلك

يجلس في متجر والده

ويبيع الحلوى للأولاد

الصديق نفسه يشعر بحكاك دائم تحت إبطيه

وفي عانته

صديق آخر يقول إنها حكة التسعينيات

أعرف صديقاً حاول أن يقتل نفسه

بابتلاع عشر حبات «ليكزاتونيل» وزجاجة ويسكي كاملة

وفي اليوم نفسه، قال صديق، أنقذوه من الغرق
 في بركة «جنينة الصنایح» الآسنة
 وقال صديق آخر إنهم عثروا عليه يحمل خنجراً
 ويطارد باصاً محملاً بالرومانیات
 على طول شارع «الكسليك».

الصديق نفسه يسكن غرفة في الطابق العاشر
 في «الطريق الجديدة»،
 منتظراً صديقة لا تأتي،
 قارئاً «هكذا تكلم زرادشت» و«التاو» و«ملحق النهار».
 ومتابعاً الدوري الإنكليزي والـ NBA
 وما تيسر من حيوانات على «الناشيونال جيوغرافيك».

أعرف صديقاً مات بقنبلة
 سقطت مباشرة على رأسه
 في العام 1983

الصديق نفسه رآه صديق آخر في 1999
 يمشي قرب «فردان 730»
 بصحبة امرأة فاتنة

أعرف صديقاً سافر إلى الخليج
 وعاد برجل مكسورة
 وقلب ميت

الصديق نفسه يشعر بالحكاك نفسه

الذي يشعر به الصديق السابق
لكن لأسباب مختلفة

أعرف صديقاً يشعر أن النساء يكرهنه
حتى أنه كاد مرّة أن يتزوج ممرضة
فقط لأنها ابتسمت له

الصديق نفسه ويمضي وقته كله على «الإنترنت»
«شاتينغ» يقول
صديق آخر قال إنها صدمة التسعينيات

أعرف صديقاً تلقى دورة في الصليب الأحمر
ليتعلم قطع شريان يده اليسرى
بأقل أذى ممكن
وحتى الآن لم ينجح.

الصديق نفسه أنهى في 1990
دورة عسكرية استمرت خمسة عشر عاماً
اضطر بعدها إلى قص شعره واستعادة اسمه
لكي يقبل كمورّع للهاتف
في أحد «سنترالات» الدولة.

أعرف صديقاً يحلم بشرفة
في الطابق الثالث
من بناء قديم
في حي «السرّيان»

حيث يستطيع أن يجلس بعد الظهر، أحياناً
ويستمع إلى «عبد الوهاب»

الصديق نفسه يعمل حالياً مع صهره
في آلات ضخّ المياه
وحين تحرّر الجنوب ما عدنا نراه
صديق آخر قال: إنه يضخّ المياه
من المدن مباشرة إلى المناطق المحررة

أعرف صديقاً يحلم بنهاية الثمانينيات
حين كان في مقدوره
رمي زجاجات «الفودكا» الفارغة على السيارات
دون أن يبدو ذلك عملاً قديماً

الصديق نفسه يعمل كحاضنة
في روضة تدعى «جنة الأطفال»
وبين وقت وآخر يكتب قصصاً للأطفال
باسم مستعار يبدأ بـ«رمزي»

أعرف صديقاً ميتاً
كان جميلاً
حارب في الأسواق
ومات بسعلة
كان يبتسم بوجهه كلّه
ويحكي عن الحرب
كأنها نزهة

أعرف صديقاً آخر ميتاً
 كان جميلاً، أيضاً
 وكان جماله يؤلم
 كان يحب «جون لينون»
 والسينما
 آخر فيلم شاهده
 كان «بالب فيكشن»
 قبل أن تدهسه شاحنة.

أعرف صديقاً مات بقنبلة
 سقطت مباشرة على رأسه

أعرف صديقاً يرتجف في «السرفيس»
 لأنه أقل من أن يرى أحداً
 أعرف صديقاً يرتجف أمام المرأة
 لأنه
 أقل
 من
 أن
 يراه
 أحد.

تفرّجت على القاتل في التلفزيون

تفرّجت على القاتل في التلفزيون، واحتجت إلى حمامٍ طويلٍ يا حبيبتي، كي أخرج القاتل من رأسي، ونمت وركّبت المعادلة الصالحة، ليس عبثاً تنبت كل هذه الأشجار، ولا ترتفع الغابات

من غير عظام، ولا يسقط الثلج هكذا مجرد أنه ثلج. نمت وركبت المعادلة الصالحة، الذين جلبوا رماً كثيراً لإزالة دمهم عن الطرقات، وأنابيب طويلة لاقتلاع شقف لحمهم عن الجدران، وضجيجاً عالياً لتغطية أزيز همساتهم ورعبهم الداخلي، إنهم يقيمون في الطقس يا حبيبتي. ليس في أي مكان سوى الطقس الذي تعلموا منه صنع العواصف والأمطار، ليس في الدموع التي ترفض أن تخرج ولا في محاولات الاحتضان اليائسة ولا في مديح التنك. إنهم يقيمون في الطقس، عالياً في الطقس يا حبيبتي، وأظن أنهم أجمل، ليس بسبب الأسود على وجوههم، وبسبب الثقوب الكثيرة في جلودهم، ولكن لأن الطقس دائماً هناك ليذكرنا بهم، السحب بيضاء، الغيوم سوداء، والجبال عالية عالية. لا يسقط الثلج لمجرد أنه ثلج، ليس عبثاً تنبت كل هذه الغابات.

أرواح

ثم يكون عليك، أحياناً، أن تفتح النافذة لأنّ روحاً قد تصطدم بالزجاج في أية لحظة ولن تقف هناك وتتفرج على بودرتها تتناثر في الهواء، لأن الأرواح تحلّق تماماً كالأفكار، وأحياناً تمكث على الحافة بضعة أسابيع، ونعرف عندها على الأقل أن الثلج يولد على هذا النحو، وحين يذوب نعرف أن الأرواح غادرت، وأن شتاءً مرّ بالخطأ من هنا. يكون عليك إذاً أن تفتح نافذة واسعة على السماء، لأن سرباً من الأرواح قد يصادف مرورها من هنا، تماماً كما يصعد دخان من بحر، تماماً كما يصعد بحر من دخان، تماماً كما دخان. وفي الليل تسمع أصواتاً كثيرة.

نشرابين

آلة للعين، آلة للقلب، والكثير من آلات للشرايين التي نحسبها مخزن الذاكرة، وإلا ماذا الدم وحده الذي يوجع حين يلمع فجأة وجه أو عبارة، ولماذا نحكّ الجلد كي نبعد الدوار المنبعث من التشابه

المرعب بين بقعتي شمس من حياتين بعيدتين كقطارين متوازيين في محطة واحدة. ونتمسك بأقرب حائط كي لا نقع، ثم نعاود المشي بخطوات أسرع من الشوارع، هذه الأقدام مسحت الكثير من الطرقات، وها نحن الآن نمشي على الهواء، ونلوح من فوق للذين يعبرون ببطء كأنهم يكتبون بخطواتهم حكمة قابلة للكسر. ساكنو المبنى الأبيض العالي رموا بغرفهم علينا ولا نقول إنها تمطر لهذا السبب، لكن علينا أن نجد منطقاً للعناكب والأعشاب التي نبتت في السقف، علينا أن نجد منطقاً للعظاءات التي بنت أوكارها في الأوعية الخضراء الرفيعة، ولذلك نسمع في آخر الليل نباحاً حزيناً، وخواراً يذكر بذبح. ولذلك نرى من حين لآخر ضفادع ميتة في المغسلة.

على إيقاع عطلة

الغيوم رحلت أخيراً، ويكون علينا الاثنان أن نحلم لبقية اليوم، بلا متاعب ولا مشقات ولا أي شيء، لأنّ البقعة الغامقة رحلت، وأماننا اليوم كلّه لبعض الحب وبعض البيرة، وبعض الطعام الخفيف والهواء الخفيف، وأن نتكلم الكلام الخفيف، أيضاً، لأنّ البيرة مشرقة تحت عيوننا ولأنّها رائحة أول الصيف التي لا نعرف كيف هي في الجو، لكن الجو رائع، ونستطيع أن نقفز كالمجانين على إيقاع بضع آلات وضعها أحدهم في الراديو، على إيقاع عطلة، ونستطيع أن نحزن القليل من هذا لوقت لاحق، حين لا نملك أن نضحك أو نحرك عضواً أو نسمة، أو أن نزيح غيمة كما نطرد حشرة، كما نمحو عتمة من هواء مريض.

* شاعر فلسطيني يقيم في بيروت.

«سيمينا»..(1)
 حَنِينٌ كَاسِدٌ عَلَى أَرِيكَةٍ

محمد حلمي الريشة*

-I-

أنا:

حَنِينٌ مَرِيضٌ / ..
 أَحْمَلُنِي بَيْنَ ضَفَّتَيْ سَعَالٍ .. وَ.. آخِر!
 وهي:

شَانِكَةٌ وَجَائِفَةٌ / ..
 مِثْلَ رَمْلِ مَسَافَةٍ مَلِيئَةٍ بِبِقَظَاتِ
 تَنْبُضِ أُمَامٍ عَرَبِيَّةٍ [تُرْتِينِي] مُشْوَشَةٍ بِبُؤَايَا الْخَطِيئَةِ!

مَا مِنْ عُذُوبَةٍ مُلْتَبِسَةٍ عَلَى أَرِيكَتِهَا الَّتِي امْتَصَّتْ
 تَعْبًا لِي،

وَقَدْ أَوْدَعَتْني تُحْلِيقًا أَثِيرِيًّا
 [بِأَحْلَامٍ مُضِرَّةٍ]

بِئْرَائِبِي الْوَاهِيَةِ!

هِيَ هَاوِيَةٌ..

أَشَدُّ مِنْ رِقَّةٍ «مُدْبَلَجَةٍ» بِرَحِيقِ لَدْنٍ

لِوَرْدَةٍ خَلَّاسِيَّةٍ؛

تُشْبِهُ ضِيَاعَ صَوْتِي بَيْنَ سَفَرٍ.. وَ.. سَفَرٍ

لَمْ يَسْتَطِعْ كِتَابَتِي بَعْدَ!

مَا مِنْ غُذْرِيَّةٍ لِإِتَارَةٍ مَوْهُوبَةٍ بَدَلْنَاهَا الشَّقِيَّةَ..

هِيَ:

مُنْهَمَكَةٌ بِهَرَّةٍ ضَحَكَتْهَا الْمَرَّةَ،

وَأَنَا:

أَشْتَغِلُ عَلَى كَاتِبَتِي

بِرِقَّةٍ حِصَانٍ فِي فِضَاءَاتِ وَحُولَاتِهِ الْمَسْبُوكَةِ!

-II-

أَهِيَ الصَّدُوقَةُ.. أَمْ الصَّدَقَةُ - الْقِرَاعُ

حَيْثُ بَقَرْتُهَا بِعَطْفِي الْقَصِيِّ كَطِفْلِ

يَتَحَسَّسُ أَضْلَاعَهَا السَّاهِمَةَ

لِأَوَّلِ مَرَّةٍ؟

سِين: سَمَاؤُهَا

يَاء: يَا بَسِئَةً

مِيم: مِثْلَ

ياء: يُنبوع

ثاء: نَأِيل

ألف: أَحْمَق

حِينَ انْحَنَيْتُ.. انْتَصَبْتُ غُودَ ثِقَابِ

لِللِقَاةِ رَغْبَتِي،

وَلَمْ يَسْجَلْ دُخَانٌ

بَعْدَ الْحَادِثَةِ!

-III-

مَا الْمَعْقُولُ؟

مَا اللَّامِعْقُولُ؟

تَبَّأَ لِفَلْسَفَةِ نَضْعِهَا عَلَى رَفِّ «تِيوكر يتوس» - أنا / هي

مِثْلَ قَنَدِيلٍ مُهْتَرِيٍّ يَهْتَرُ

يَنْرُ

يَنْرُ

بُقَعِ شَوْقٍ فَاسِدٍ!

رُبَّمَا كُنْتُ شَبْهَةً خُلْمٍ

يَطِيرُ بَيْنَ رَذْفِي حَاجِزٍ مُخْتَلِّ الْمَعْنَى،

مِنَ الْإِسَاءَةِ [لِمَنْ يَشُقُّ بُرْغَمَهَا] أَنْ يُتْرَكَ الْبَابُ نَهْبًا

لِنَصْفِ غَابِرِي الْحِكَايَةِ مَعًا،

ثُمَّ..

وَلَا تَسْتَيْقِظُ الْأَرِيكَةَ!

-IV-

انمحي وضوخ روثها الآن..
 من الضرورة:
 أن تلامس هذا بعشب إحساسها المفترس،
 ومن الخلاص لي:
 أن أهب خطتي للعاملين عليها
 دون مراثي عذبة
 ودون أسف على الأسف!

ما كنت ظلاً لقرينة الأنتى علي،
 أو / ..
 شبحاً بتلال من الخطى المذهبة بحرشف ناري،
 ولم / ..
 أمكث بين قوس مرصود لعناقي!

قد أقبلُ خطاً
 بياني
 الصاعد،
 درجة
 حرارتي
 الباردة
 لأفر من رائحة ريتها
 [ضارة بيئة عاطفتي]
 بعد وليمتي المؤجلة!

-V-

لِيَأْتِ الْمَكَانُ - إِذَنْ
 سَتَرِي أَنَّنِي لَمْ أَعُدْ أَوْمُنُ بِهِ تَمَاماً،
 مِثْلَمَا أَكْفَرُ بِإِبْلِيسَ رَمَانَهَا الْأَحْوَالِ، وَقَدْ تَطَرَّقَ إِلَيَّ
 خِلَالَ فِيلِمِهِ الصَّمَامِ بِاللُّونِينِ
 الْأَسْوَدِ... وَ.. الْأَسْوَدِ!

-VI-

سَأَسْتَعْجِلُ غُبُورَ الْفِكْرَةِ الْفَارِهَةِ
 [لِمَشْوَارِهَا الشَّبَكِيِّ]
 كَيْ تَمُرَّ دُونَ اصْطِيَادِي!

سَأَتَذَكَّرُ كُلَّ شَيْءٍ
 لِأَحَاسِبَ رِيَشَ قَرَائِصِي، وَقَدْ نَدَقَهَا
 فَوْقَ
 رَغَبِهَا الْخَشَنِ،
 دَفَعْتُ أَوْرِدَتِي الطَّائِشَةَ!

عَلَيَّ الرَّحْمَةُ، وَعَلَيْهَا..

أَنَا:

سَأَتَجَرُّ، ثَانِيَةً، قَوْلَ هَذِهِ الْمَأْتُورَةِ
 لِمَأْسُورَةِ أُخْرَى خَاطِقَةٍ
 فِي الس... مَا.. قَبْلُ!

-VII-

لا بَأْسَ،
 وَإِنْ سِرْتُ فَوْقَ صَلَاحِهَا السَّاحِنِ بِرِدَائِي الْحَافِي
 فَبَعْدَ ثَلَاثِمِائَةٍ عَامٍ
 سَتُحَلِّدُهَا قَصِيدَةً أَنْفَةً
 بِصِفَاتِ حُرُوفِهَا الْوَرَائِيَّةِ كَنَقْشٍ فِي الْجَسَدِ!

-VIII-

حِينَ وَهَبْتُهَا إِرْتَا ضَالًّا مِنْ حَضَارَتِي الشَّائِنَةِ،
 كُنْتُ أَطْمَئِنُّ جُوعَ غَزَلَتِهَا النَّاتِي.. فَقَطْ
 لِأَنَّ مَوْعِدَنَا النَّالِي لَنْ يَسْلَمَ مِنْ وَقُوعِهِ
 تَحْتَ
 شَرِّ اشْفِي الْحَسِيَّةِ!

مَنْ سَيُودِّعُ مَنْ:
 سَتَأْتِيهَا الْمُتَشَقِّقَةُ الَّتِي لَمْ تُحَرِّكْ سَاكِنًا؟
 أَمْ..

تَسِيحُ دُخَانِي الَّذِي غَزَلْتَهُ عَنْكَ بَوْتُ لِقَافَتِي الْفَاضِلَةِ؟

-IX-

[لَا شَكَّ أَنَّ حَرَارَتِي، الْآنَ، عَالِيَةٌ
 وَأَنَّ نُجُومِي
 حَفِيضَةٌ!]

-X-

حِينَ بَرَزْتُ لِي
 وَجُوهَهَا السَّيِّئَةُ فِي حَجَرِ النُّرِّ
 [الَّذِي نَقَبَ جَمْرَةَ عَيْنِي]
 تَيَقَّنْتُ أَنَّ الْوَجْهَ السَّابِعَ.. أَنَا!

لَمْ يَعْرِفْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا
 أَنَّ يُؤَدِّي دَوْرَهُ فِي الْمَلْهَةِ جَيِّدًا،
 فَكَلَانَا كَانَ يَقِفُ عَلَى حَشْبَةِ جَسَدِهِ
 الْآيِلَةَ
 لِلانصراف،
 بَيْنَمَا أَصْوَاتُ الْمُتَفَرِّجِينَ [خَارِجِ الْأَرِيكَةِ] تَهْتَفُ بِصَمْتٍ
 لِأَدَائِنَا الْمَاكِرِ!

رُبَّمَا كُنَّا طَيِّبِينَ أَكْثَرَ مِنْ مَدَانَا الْحَبِيثِ
 [مِثْلَ بَرَءَاتِ عَمِيَاءِ]
 وَمِنْ هَذِهِ الرُّؤْيَا الَّتِي صَدَّقْتُهَا
 ثُمَّ أَوْلَّتَنِي لَهَا حَطًّا!

-XI-

أَنْفَضُ غُبَارَهَا الْأَسْرَ عَنْ حُلْمِي الْقَادِمِ، الْآنَ
 وَلَا حَاجَةَ لِاعْتِدَارِ النَّوْمِ
 عَنْ صَحْوِهِ الْمُبْدُولِ!

-XII-

هل لي أن أبُتكرَ عصراً جديداً
أَيَّتْهَا الْهَوَائِيَّةُ الَّتِي لَمْ تُنَاسِبْ مَفَاصِلَ ظُنُونِي؟

نُحْنُ لَمْ نَتْرُكْ أَثْراً
من غَابَةِ الْعُرْقَةِ الشُّوْكِئَةِ عَلَى ثِيَابِنَا،
لكن:

كيف سَأُرِيْلُ عَرَقَ بَصَمَاتِنَا
عن نُزُلِنَا في.. الرِّيحِ؟

-XIII-

ها أَنَذَا أُخْطِئُ هَدَفاً آخَرَ / ..

ها أَنَذَا.. حَنِينٌ كَاسِدٌ

على أريكة!.

(2000/6/27)

*شاعر فلسطيني يقيم في نابلس.

(1) سيميثا - تيوكريتوس: حكاية تيوكريتوس الموجهة عن الحب الحسي والبريء لـ«سيميثا» الصبية سيئة الطالع، هي أول قصيدة حب عرفها الغرب تعود للقرن الثالث قبل الميلاد.